قواعد الحوار و التعامل مع" الآخر" في اليهودية بين " الألتروفوبيا "وتقديس الذات

أ.عبد الوهاب العمري
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص:
حاول الكثير من الباحثين الكشف عن الأسباب الحقيقية القائمة وراء العداء لليهود قديما وحديثا، فحيثما يحل اليهود يظهر العداء لهم. وكانت نتائج الكثير من البحوث تلح بأن الأسباب القائمة وراء العداء لليهود يكمن في اليهود أنفسهم، فإحساس اليهود المستمر بوجود أغلبية كبيرة من " الأغيار "حولهم هو السبب في الأمراض اليهودية وهو السبب أيضا في استمرار ميلهم القديم إلى " الانعزالية " مما ولّد عندهم أمراض مركبة تترنح بين " الألتروفوبيا " وتقديس الذات وصارت قواعد الحوار و التعامل مع" الآخر" شكلا من أشكال الحرب.

Résumé:
De nombreux chercheurs en tenté de découvrir les vraies raisons derrière l'hostilité aux Juifs anciens et contemporains, partout où les Juifs se montres l'hostilité bouge envers eux. Les résultats de nombreuses recherches insistent que les raisons derrière cette hostilité sons les Juifs eux-mêmes, car le sentiment de la présence de « l'autre » - non juifs - autour d'eux provoque beaucoup de répliques psycho-sociales maladives complexes, développent le sentiment «d'auto-isolement », qui développe «l'Alterophobie » et la sacralisation du MOI Juif qui transforme les règles et le sens du dialogue qui finis d'être une forme de guerre.

الناظر للضجة العالمية والإعلامية التي يثيرها اليهود هنا وهناك، بدعوى أن المسلمين عامة والعرب خاصة يكرهونهم، ويمنعونهم حقا أقره لهم الربّ بوعود في كتبهم المقدسة، وأنهم ما جنحوا لأساليب العنف والغلظة والشدة، إلا لحماية أنفسهم، واسترداد حق تاريخي مغصوب، وأن هذا الخيار

كان ولا يزال مفروضا عليهم، لأن الآخر المتمثل في العالم العربي والإسلامي، يريد إبادتهم بشتى الوسائل، ولا يفتح صدره للحوار، ولا يمدّ يده للسلام معهم، ولا يتفهم وجهة نظرهم, ناهيك عن التعايش معهم، وعرضوا أنفسهم على أنهم الضحية الفارة من جلادها، والتي تحتاج من العالم إنصافها والاعتراف بحقوقها، وأشهدوا على ذلك العالم الغربي، وطالبوه بحمايتهم و مناصرتهم في كل المحافل الدولية، من كل المقاومين أو الرافضين للحوار والتفاوض، رغم استعدادهم هم له.

هذه هي وجهة النظر اليهودية، لكن السؤال الذي يطرح نفسه بقوة : هل لليهود في مورثهم الديني والثقافي والتاريخي، قواعد للحوار والتعامل مع الآخر؟ وكيف تصور نصوصهم المقدسة شكل الحوار ؟ وهل تؤمن أصلا بالآخر المحَاوِر؟.

هذه وغيرها من الأسئلة التي سنحاول الإجابة عليها في هذه الدراسة، ولكن قبل بسط موضوع الحوار وقواعد التعامل مع" الآخر"، في المرجعية والأصول الفكرية والعقدية اليهودية، يجدر بنا تحديد مفاهيم بعض المصطلحات والألفاظ، كالآخر والألتروفوبيا، وغيرها من المصطلحات التي يصادفها القارئ لهذا المقال، حتى نرفع كل لبس وغموض ونحدد بدقة إمكانية الحوار مع هذا الكيان من استحالته.

- مفهوم الآخر و الألتروفوبيا:

جاء في قاموس "لو بوتي لاروس"(Le petit Larousse): "**الآخر**" (L'autre) مشتق من اللاتينية "ألتر"(alter) والذي معناه: "غير المشابه" و"المغاير" و " المختلف"، لذا نجد كثيرا من الكتاب والباحثين يستعمل كلمة " الأغيار" للدلالة على المخالف لنا سواء في الدين أو الفكر أو الاجتماع. علما أن "الآخر" كمصطلح عكسه الـ"أنا"، والذي يحمل معنى المشابه والمماثل والمطابق لنا في الوجهة والتوجه.[1]ويعبِّر بعض الباحثين في اليهودية عن لفظة " الآخر" بالغير، أو " الأغيار" وهي المقابل العربي للكلمة العبرية "غوييم"،[2] وهذه هي صيغة الجمع للكلمة العبرية "غوي" التي تعني " شعب" أو " قوم "، وقد انتقلت إلى العربية بمعنى "غوغاء" و"دهماء". وقد كانت الكلمة تنطبق في بادئ الأمر على اليهود وغير اليهود ولكنها بعد ذلك استُخدمت للإشارة إلى الأمم غير اليهودية دون سواها، وقد اكتسبت الكلمة إيحاءات بالذم والقدح، وأصبح معناها " الغريب " أو " الآخر ". والأغيار درجات أدناها العكوم، أي عبدة الأوثان والأصنام، بالعبرية: "عوبدي كوخافيم أو مزالوت" أي "عبدة الكواكب والأفلاك السائرة "، وأعلاها أولئك الذين تركوا عبادة الأوثان، أي المسيحيون والمسلمون. وهناك أيضاً مستوى وسيط من الأغيار "جيريم" أي "المجاورين" أو "الساكنين في الجوار" مثل السامريين.) [3]

---

1 - أنظر Le Petit Larousse compact,1998, édition Larousse, p102

2 - غوي جمعُ غويم (أو الجوييم Goyim) : كلمة عبرية تعني الأغيار وهم الناس الذين يعيشون كالبهائم من غير اليهود عموما، و الغونتيل (أو الجونتيل) مصطلح يقصد به الناس الذين يعيشون كالبهائم من غير اليهود في الدول الأوروبية خصوصا.أنظر كتاب الملياردير الأمريكي هنري فورد: **اليهودي العالمي**، إعداد جيرالد.ل.ك.سميث، ت علي الجوهري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، 2001، ص 29. وأنظر أيضا حسن ظاظا: **الشخصية الإسرائيلية**، دار القلم،دمشق، ط الثالثة، 1999، ص 47-49 . وكذا عبد الوهاب عبد السلام طويلة: **مغالطات اليهود وردها من واقع أسفارهم**، دار القلم، دمشق، 2005، ص 17.

3- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، ج5 ، ص 364 . وأنظر أيضا، الشرقاوي عبد الله: **الكنز المرصود في فضائح التلمود**، دار عمران، بيروت، ط 1، 1993، ص 234

أما مصطلح " **الألتروفوبيا** " (Alterophobie) أو "فوبيا الآخر" أو "الغيريّة المرضيّة": فهو مصطلح يُعَبر به علماء النفس و الاجتماع، عن ظاهرة وحاسة كُره الآخر، واعتباره عدوا وجب إلغاؤه و إزالته - بالسليقة - ، وهو مصطلح له مدلولاته الخاصة والدقيقة عند المهتمين بالمسألة العنصرية، إذ يُعبر به عن حالة نفسية مرضية تُسمى "عقدة الآخر" (Alterophobie)، ويسمى المصاب بها بـ"المعقد باتجاه الآخر" ألتروفوب (Alterophope)[1].

- الحوار و الآخر في العهد القديم

أعظم حوار في الكون هو ما كان بين الله تبارك وتعالى مع أحد من خلقه، سواء مع الملائكة أو مع الأنبياء بالوحي، أو مع سائر العباد عن طريق الأنبياء وحيا، لذا يسمى حوار الوحي بـ "الحوار الأعظم"، لأنه صادر من الأعلى إلى الأدنى.وعند دارسة العهد القديم وبالتركيز فيه على الحوار وجدنا أنه يمكن تقسيم الدراسة إلى قسمين:

1- محاورة الربّ لبني إسرائيل سواء بحثِّهم على التوحيد ومدحهم و تأييدهم عند الالتزام من جهة، أو تأنيبهم والأخذ على أيديهم في حالة العصيان من جهة أخرى.

2- أمر التوراة بالحوار مع الآخر من جهة، وبعدم الحوار معه من جهة أخرى، وفيه تفصيل.ولا نزعم في هذه الدراسة أننا بحثنا كل نصوص العهد القديم، وإنما تم التركيز على نماذج منه فحسب، بما يخدم موضوع الدراسة.

أ- محاورة الربّ لبني إسرائيل تأييدا ومدحا لهم عند الالتزام:

تحدد بعض النصوص الحوارية المباشرة العلاقة بين الربّ وشعبه - بني إسرائيل- ، وتضبط ثمن استحقاقاتها: بالأجر و المثوبة والتقريب إلى درجة تقديس الربّ لهم، واصطفائهم عن غيرهم، في حال الطاعة الاستقامة، وبالنكال والخزي والعذاب في حال الإعراض عنه و عن

1 - ألبيرتو دانزول: **اليهودية والغيرية، غير اليهود في منظار اليهودية**، ترجمة ماري شهرستان، دار الأوائل للنشر و التوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، الطبعة الثانية 2009، ص12-13

توحيده، أو مخالفته بالمعصية، و تقليدهم للأمم الوثنية بعبادتهم الأصنام والأوثان، وهذه طبيعة الجزاء والعقاب.[1]

و تذهب بعض النصوص في تذكية العنصرية وتفضيل اليهود على غيرهم إلى درجة أمر الآخر- غير اليهودي - بالسجود لليهودي ولعق غبار حذائه، وهذا له دلالته ومفعوله في تشكيل العقل اليهودي ونفسيته، فيرى نفسه - توهما- أنه أفضل الناس-"أنا خير منه"-، فَتعشش في خلّده مرض وعقدة " التمركز حول الذات " (égocentrisme)[2]، فأصبح تعامله مع الآخر تعاملا فوقيا استعلائيا ، أعطاه- حسب تصوره واعتقاده- أحقيّة التصرف والفعل – المطلقين – دون شعور بالحرج إطلاقا، بل ينمو هذا الإحساس بالاستعلاء والفوقية، لدرجة التوهم والتلذذ بحلم سحق الآخر، وهذا يُولِّد عقدة أكبر منها ويسيطر على الفرد والمجتمع عقدة "الألتروفوبيا"، ومن هذه النصوص المفتراة على الرب قوله:

"**هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: "هَا إِنِّي أَرْفَعُ إِلَى الأُمَمِ يَدِي وَإِلَى الشُّعُوبِ أُقِيمُ رَايَتِي، فَيَأْتُونَ بِأَوْلاَدِكِ فِي الأَحْضَانِ، وَبَنَاتُكِ عَلَى الأَكْتَافِ يُحْمَلْنَ. ٢٣وَيَكُونُ الْمُلُوكُ حَاضِنِيكِ وَسَيِّدَاتُهُمْ مُرْضِعَاتِكِ. بِالْوُجُوهِ إِلَى الأَرْضِ يَسْجُدُونَ لَكِ، وَيَلْحَسُونَ غُبَارَ رِجْلَيْكِ، فَتَعْلَمِينَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الَّذِي لاَ يَخْزَى مُنْتَظِرُوهُ**".[3] ولهذا ليس غريبا أن تذكر التوراة أن الربّ يحب بني إسرائيل حبا خاصا،منها: " **لِيَكُنْ مُبَارَكًا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي سُرَّ بِكَ وَجَعَلَكَ عَلَى كُرْسِيِّ**

1 - سفر التثنية 28 : 13- 18،سفر الخروج 19 : 3-7، سفر العدد 24 : 9 ، سفر التثنية7 : 14، سفر التثنية14 : 2، سفر أشعيا 61 : 9، سفر التثنية 14: 1- 3

2 - égocentrisme :عقدة ومرض نفسي يعبر به عن الأنانية وحب الذات وعكسه الإيثار ومحبة الآخر (altruisme)

3- سفر أشعيا 49 : 22- 23 علما أن هناك نصوصا من العهد القديم تناقض هذا النص، وتجعل التواضع ولين الجانب يتقدم الكرامة والعزة . كما جاء في سفر الأمثال 15: 33 قوله :" مَخَافَةُ الرَّبِّ أَدَبُ حِكْمَةٍ، وَقَبْلَ الْكَرَامَةِ التَّوَاضُعُ." وفي الأمثال 22: 3-5 قوله :" اَلذَّكِيُّ يُبْصِرُ الشَّرَّ فَيَتَوَارَى، وَالْحَمْقَى يَعْبُرُونَ فَيُعَاقَبُونَ. ٤ثَوَابُ التَّوَاضُعِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ هُوَ غِنًى وَكَرَامَةٌ وَحَيَاةٌ." إلا أن هذه النصوص وغيرها كثير لا يُعمل بها ولا نجد لها صدى في تعاملات اليهودي مع الآخر، وهذا ما يجعلنا نتساءل عن جدوى وجود مثل هذا النصوص؟ أو كيف يطبقها اليهودي الملتزم ؟ أو مع من يطبقها ؟ هذا ما سنجيب عليه لا حقلا عند التعرض إلى كشف السبب الحقيقي وراء تناقضات النصوص.

إِسْرَائِيلَ. لأَنَّ الرَّبَّ أَحَبَّ إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ جَعَلَكَ مَلِكًا، لِتُجْرِيَ حُكْمًا وَبِرًّا."[1]

ب- أمر التوراة اليهود بالحوار مع الآخر وحسن التخلق معه:

بعد الحديث عن الصلة بين الربّ وأتباع التوراة تأييدا وذما، نعرج للحديث عن الصلة بين الإنسان والإنسان أو بالأحرى بين اليهودي والآخر، فلا يخل العهد القديم من الحديث عن الأخلاق والحث على إحسان الصلة بالآخرين بالعدل، والرحمة، وطيب النفس [سفر الأمثال 3: 3- 4]. علما أنه من اتصف بالرحمة اتصف بلين الجانب والحديث[2]، كما نهت نصوص أخرى عن النفاق والحسد و الاعتداء على المحتاج والبائس الفقير، منها قوله: **" لاَ تَسْلُبِ الْفَقِيرَ لِكَوْنِهِ فَقِيرًا، وَلاَ تَسْحَقِ الْمِسْكِينَ فِي الْبَابِ، ٢٣لأَنَّ الرَّبَّ يُقِيمُ دَعْوَاهُمْ، وَيَسْلُبُ سَالِبِي أَنْفُسِهِمْ."** [سفر الأمثال 22: 22 – 23] .وكذا قوله: **" لاَ يَحْسِدَنَّ قَلْبُكَ الْخَاطِئِينَ، بَلْ كُنْ فِي مَخَافَةِ الرَّبِّ الْيَوْمَ كُلَّهُ."**[3]

د- الأوامر المفتراة على الربّ بأن لا حوار، ولا مصالحة مع الآخر:

الناظر للنصوص السابقة مبتورة- ومجردة- نظرة موضوعية، يلحظ أن أغلبها قد يكون من بقايا الوحي الصحيح، الذي لم تمتد إليه يد التبديل والتحريف، لما فيها من دعوة للأخلاق الفاضلة، التي توافق المنظور الإسلامي والإنساني على حد سواء. لكن المقارن لها بنصوص أخرى يلاحظ حجم التناقض الذي طرأ على العهد القديم من جراء التحريف

1- سفر الملوك الأول 10 : 9 وهناك نصوص حوارية أخرى لبني إسرائيل، تأمرهم بتطبيق الشريعة، وعلى رأسها الوصايا العشر كما جاء في سفر الخروج 20: 3- 18 ،أنظر أيضا سفر التثنية 5 : 6- 22 ومن الملاحظ أن هذا النص يشمل جملة من الأحكام العقدية و الأخلاقية، فتضمن الأمر بالتزام عدد من الأخلاق الإنسانية الأساسية، وهي كالتالي: برّ الوالدين، عدم القتل، المحافظة على العفاف، عدم السرقة، والتنزه عن شهادة الزور، وعدم الطمع فيما يملكه الأقرباء، من بيت أو امرأة أو غير ذلك أنظر عابد توفيق الهاشمي: **التربية في التوراة ،العهد القديم (عرض وتقويم) بميزان الإسلام**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 2000، ص 117.

2- سفر الأمثال 15: 1- 6، سفر الأمثال 16: 19 – 23، سفر الأمثال 22: 22 – 23، سفر الأمثال 23: 17-18

3- سفر الأمثال 23: 17-18، سفر المزامير37: 27- 33، سفر الأمثال 6: 16- 19

والتزوير. وحتى لا نفسر التضارب والتناقض بين النصوص تفسيرا ذاتيا تآمريا، نعرضها بمواضيعها وهي تخبر عن فحواها بنفسها.

الآخر وُبؤنجس و لا كرامة له:تصوِّر النصوص التوراتية الآخر- غير اليهودي- لليهودي أنه إنسان من الدرجة الثانية ما خُلق إلا لخدمته، فهي بذلك تبيح إذلاله بقدر استغلاله، حتى تنمحي كرامته، وما تسميه إلا بألقاب الاغتراب والإبعاد والتنجس،كل ذلك تم -على زعمهم- بأمر الربّ ومباركته. [سفر إشعيا 60: 1-14 ، سفر إشعيا 61: 5 – 7 ، سفر التثنية 7: 16-24]. وانظر إلى وحشية الألفاظ المستعملة، كيف أنها تَفْتِك بقلب صاحبها، فلا تُبقِي فيه مكانا للرحمة ولا للشفقة والأحاسيس الرقيقة: **" تَأْكُلُ كُلَّ الشُّعُوبِ"، " لاَ تُشْفِقْ عَيْنَاكَ عَلَيْهِمْ "، "وَيَدْفَعُهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ أَمَامَكَ"،"وَيُوقِعُ بِهِمِ اضْطِرَابًا عَظِيمًا حَتَّى يَفْنَوْا "، "وَيَدْفَعُ مُلُوكَهُمْ إِلَى يَدِكَ "،" فَتَمْحُو اسْمَهُمْ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ"، " لاَ يَقِفُ إِنْسَانٌ فِي وَجْهِكَ حَتَّى تُفْنِيَهُمْ "** .

مصاهرة غير اليهودي خيانة للربّ :المدقق النظر في آيات العهد القديم، يجدها تأمر أتباعه بعدم مصاهرة غير اليهودي،كل ذلك بألفاظ قاسية جارحة نابية، تصنع نفسية مرضية حاقدة ، أقل ما يقال عنها أنها تذكي مرض " الألتروفوبيا" (Alterophobie)، والذي يذكي بدوره العنصرية البغيضة، مخالفة بذلك ما درج عليه الناس، والتجمعات البشرية عموما منذ القدم. ذلك أن المجتمعات لا تتوقف، فهي في سيرورة و حركية اجتماعية يحتك أفردها ومجتمعاتها بعضها ببعض، ويؤثر ويتأثر بعضها ببعض أخذا وعطاء، سواء في المطعم أو الملبس أو العلاج ...، وحتى في الشؤون الاجتماعية وذلك ما يثبته علماء الأنثربولوجيا، حينما يتعرضون إلى قضية الزاوج بين الشعوب القديمة، فوجدوا أن المرأة بانتقالها من وسط وبيئة إلى أخرى بالزواج، فإنها تنقل معها ما تعلمته في بيئتها الأصلية إلى البيئة الجديدة، فتُعلم وتتعَلم الجديد، ومن هذا التفاعل الاجتماعي يكون رافدا من روافد التقدم، وتنتقل المعرفة من وسط لآخر ومن جيل لآخر[1]. ولكن العهد القديم لا يؤمن بهذه الفكرة إطلاقا، ويدعو المؤمنين به، إلى الانغلاق

1- فيلسيان شالي: **موجز تاريخ الأديان**، ترجمة حافظ الجمالي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة الثالثة 2007، ص 21-37

والتقوقع والتمركز نحو الذات، بحجة صفاء ونقاوة السلالة و العرق اليهودية، لذا يجب على اليهود عدم مصاهرتهم للشعوب الأخرى، - تماما مثل ما دعا إليه أدولف هتلر عندما ادعى نقاوة الجنس الآري - ومما يؤيد ذلك قوله في سفر عزرا 9:[11 – 12]: " **إِنَّ الأَرْضَ الَّتِي تَدْخُلُونَ لِتَمْتَلِكُوهَا هِيَ أَرْضٌ مُتَنَجِّسَةٌ بِنَجَاسَةِ شُعُوبِ الأَرَاضِي، بِرَجَاسَاتِهِمِ الَّتِي مَلأُوهَا بِهَا مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ بِنَجَاسَتِهِمْ. ١٢وَالآنَ فَلاَ تُعْطُوا بَنَاتِكُمْ لِبَنِيهِمْ وَلاَ تَأْخُذُوا بَنَاتِهِمْ لِبَنِيكُمْ، وَلاَ تَطْلُبُوا سَلاَمَتَهُمْ وَخَيْرَهُمْ إِلَى الأَبَدِ لِكَيْ تَتَشَدَّدُوا وَتَأْكُلُوا خَيْرَ الأَرْضِ وَتُورِثُوا بَنِيكُمْ إِيَّاهَا إِلَى الأَبَدِ.**" بل إن نصوص العهد القديم تذهب بعيدا في تكريس الألتروفوبيا وتقديس الذات اليهودية، إذ تعتبر عقيدة وشريعة التوراة مصاهرة الشعوب الأخرى خيانة للربّ. [سفر عزرا 10: 10-11].(وقد ساهم حاخامات اليهود في تعميق هذا الاتجاه الانفصالي من خلال الشريعة الشفوية التي تعبِّر عن تزايد هيمنة الطبقة الحلولية داخل اليهودية، فنجدهم قد أعادوا تفسير حظر الزواج من أبناء الأمم الكنعانية السبع الوثنية [تثنية7/2-4]، ووسعوا نطاقه بحيث أصبح ينطبق على جميع الأغيار دون تمييز بين درجات عليا ودنيا. وقد ظل الحظر يمتد ويتسع حتى أصبح يتضمن مجرد تناول الطعام -حتى ولو كان شرعيا- مع الأغيار، بل أصبح ينطبق أيضاً على طعام قام جوي (غريب) بطهيه، حتى وإن طبَّق قوانين الطعام اليهودية. كما أن الزواج المُختلَط، أي الزواج من الأغيار، غير مُعترَف به في الشريعة اليهودية، ويُنظَر إلى الأغيار على اعتبار أنهم كاذبون بطبيعتهم، ولذا لا يؤخذ بشهاداتهم في المحاكم الشرعية اليهودية، ولا يصح الاحتفال معهم بأعيادهم إلا إذا أدَّى الامتناع عن ذلك إلى إلحاق الأذى باليهود.)[1]

إسترقاق الجار:ليس لكلمة "جار" -(وهي من المجاورة: أي القرب)- في المخيال اليهودي أي معنى ولا وقع، كما هو عند كل الشعوب وحتى الوثنية منها، من إحسان للجار، وحسن معاشرته وعدم الإغارة عليه، ونصرته في المحن والشدة، مهما كانت عقيدته وجنسه، يكفي أنه جار، وكذلك بالنسبة للضيف الغريب – الذي تقطعت به السبل- والنازل على

1- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، ج5، ص 364

القوم، فالأخلاق الإنسانية المبنية على نصرة الضعيف والأخذ بيده إلى برّ الأمان، توجب التعامل معه بأخلاق النبل والشهامة... فبالمقابل لهذه المعاني الرقيقة والإنسانية، نجد أن نصوص العهد القديم تدعو إلى تصور آخر مغاير تماما لهذه المعاني الإنسانية، إذ تبيح النصوص المقدسة باسم الربّ، استرقاق الآخر حتى ولو كان جارا ، وكذا كل ضيف و نزيلٍ عندهم، حتى ولو كان شريفا بين قومه [سفر اللاويين 25: 44- 47 ، سفر إشعيا 60 : 10-12]. بعد ملاحظة وتقصي لهذه النصوص وغيرها - كثير - ، نكاد نجزم بأنه لا مجال لتحرير العبيد من غير اليهود في الشريعة اليهودية، كما أن اليهودي بالمعنى التوراتي، جدّ مريض من الناحية النفسية والفكرية، إذ جعلت منه هذه النصوص وغيرها، إنسان معقد بعقدة "جنون العظمة " (Mégalomane) [1]، فصار يتعامل مع واقعه تعامل المتكبر الجبار، ومن هنا اكتسب اليهودي كره الآخر له، في ردة فعل طبيعية، وهذا ما جعل الحاخامات في العصور الوسطى والحديثة، يستثمرون شعور كره الآخر لهم، وحولوها إلى المبالغة في حب الذات، - ورفع سعرها -، مما نمّى شعور العنصرية لديهم إلى ذروتها.[2]

معنى الصلح التوراتي:الصلح في اللغة: اسم من المصالحة وهي المسالمة بعد المنازعة وفي الشريعة عقد يرفع النزاع.[3] ولا يكاد يخفى على أحد - في اعتقادنا- أن من معاني الصلح: القضاء على الأسباب الحقيقية التي تولد عنها الخلاف بين طرفين بوسيلة مشروعة.[4] إلا أن هذا المعنى لا تطرحه نصوص العهد القديم البتة. ذلك أن الصلح في الاصطلاح التوراتي معناه: الاستسلام والخضوع والاستعباد والاسترقاق. وكل من يرفض الصلح بهذا المعنى فمصيره حدّ السيف بعد محاصرته، والناظر للممارسات

---

1 - ميغالومانيا Mégalomanie : (ميغا mégas: بمعنى عظيم وكبير. و مانيا mania : بمعنى جنون.) أي جنون العظمة. أنظر:
Le Petit Larousse compact,1998, édition Larousse, p640.

2 - راجع المسألة بالتفصيل عند إبراهيم خليل أحمد:**إسرائيل فتنة الأجيال العصور القديمة** ، مكتبة الوعي العربي،1969، ص154-156

3- الرازي، مختار الصحاح: ج 1، ص 154

4 - ابن منظور، لسان العرب: ج2، ص 517، وانظر أيضا، الجرجاني علي: التعريفات، دار الكتاب العربي-بيروت، ط1، 1405، تحقيق إبراهيم الأبياري، ج1، ص 176

الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني يلاحظ التطبيق الفعلي لهذه النصوص والتعاليم التوراتية.[سفر التثنية 20: 10 - 16]

الطرد و الإبادة لمن لا يطيع اليهود:نصوص كثيرة تلك التي تصف الربّ بأنه عدواني، متعطش للدماء، إذ يدعو اليهود بإلحاح شديد إلى قتل الآخر وإبادته بدل دعوته إلى الإيمان والتوحيد واتباع نور هدايات السماء.(إذ يرون أن ذلك تكريم خاص بهم، دون الآخرين، وأن غير اليهود لا يستحقون في نظرهم أن يرتبطوا بتعاليم التوراة.(...) وإلى يومنا هذا، يأنف اليهود أن يدعوا غيرهم إلى دينهم، والسبب في ذلك عنصريتهم. فالديانة عندهم تتوارث عبر النسل اليهودي فحسب، من الناحية التوراتية، النظرية على الأقل.)[1]

ومن النصوص التي تدعو إلى حروب الإبادة الشاملة على الآخر، قوله:" **ثُمَّ رَجَعَ يَشُوعُ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ وَأَخَذَ حَاصُورَ وَضَرَبَ مَلِكَهَا بِالسَّيْفِ، لأَنَّ حَاصُورَ كَانَتْ قَبْلاً رَأْسَ جَمِيعِ تِلْكَ الْمَمَالِكِ. ١١وَضَرَبُوا كُلَّ نَفْسٍ بِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. حَرَّمُوهُمْ، وَلَمْ تَبْقَ نَسَمَةٌ، وَأَحْرَقَ حَاصُورَ بِالنَّارِ. ١٢فَأَخَذَ يَشُوعُ كُلَّ مُدُنِ أُولئِكَ الْمُلُوكِ وَجَمِيعَ مُلُوكِهَا وَضَرَبَهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ. حَرَّمَهُمْ كَمَا أَمَرَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ. ١٣غَيْرَ أَنَّ الْمُدُنَ الْقَائِمَةَ عَلَى تِلاَلِهَا لَمْ يُحْرِقْهَا إِسْرَائِيلُ، مَا عَدَا حَاصُورَ وَحْدَهَا أَحْرَقَهَا يَشُوعُ. ١٤وَكُلَّ غَنِيمَةِ تِلْكَ الْمُدُنِ وَالْبَهَائِمَ نَهَبَهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لأَنْفُسِهِمْ. وَأَمَّا الرِّجَالُ فَضَرَبُوهُمْ جَمِيعًا بِحَدِّ السَّيْفِ حَتَّى أَبَادُوهُمْ. لَمْ يُبْقُوا نَسَمَةً. ١٥كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى عَبْدَهُ هكَذَا أَمَرَ مُوسَى يَشُوعَ، وَهكَذَا فَعَلَ يَشُوعُ. لَمْ يُهْمِلْ شَيْئًا مِنْ كُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ الرَّبُّ مُوسَى."**[2] [سفر يشوع 11: 10 – 15].ومن الوصايا التي ينسبونها للربّ، أن رحمته لا تنزل عليهم إلا بكثرة القتل والذبح والحرق لأعدائهم،[سفر التثنية 13: 15- 18]. وحتى الضعفاء كالأطفال والحوامل، لا يَسلمون من الإبادة في الكتاب المقدس، لا حقوق لهم ولا مجال لرحمتهم و الإشفاق عليهم، بل تحدد وصايا الربّ شكل الإبادة والتحطيم بكل وحشية وبرودة دم [سفر هوشع 13: 15-16، سفر صموئيل الأول 15: 3- 4]. وحتى يتصالح الربّ مع شعبه

1- عابد توفيق الهاشمي، التربية في التوراة: ص 147

2- أنظر الإصحاح 12 و13 من نفس السفر ففيها من نصوص القتل و الإبادة ما تتقزز له كل نفس سوية.

ويهدأ غضبه بأمر الربّ موس أن يصلب العُصاة عند الشمس، كلما أحرقهم فيحها ولهيبها كلما هدأ وبرد غضب الربّ [سفر العدد 25: 3- 4]**.**

سبب تناقض النصوص :عند مقارنة النصوص الداعية للحوار ومعاملة الآخر معاملة حسنة إلى درجة تقديسه، بالنصوص التي تدعو إلى عدم الحوار معه ومعاملته بلغة السيف والقتل، نلاحظ تناقضا صارخا، يعبر عن ازدواجية في الخطاب، يوصف الأولى بالوداعة والرقة، ويوصف الثانية بالشراسة والغلظة. ولا يمكن إزالة هذا النشاز والتناقض، إلا بأمر واحد، وهو أن المخاطَب ليس واحدا، و إنما هو متعدد، وعليه يجب أن تتعدد لغة الخطاب، وتتعدد معها منظومة الأخلاق والقيّم. فالمخاطَب بتلك الأخلاق الفاضلة لا يمكن أن يكون إلا يهوديا. أما الآخر غير اليهودي فيُتعامل معه وفق قانون "الألتروفوبيا" أي: هو عدوٌّ ابتداءً تطبق عليه كل الأحكام العدائية. بناء على ذلك يمكننا أن نستنتج أنه (تم تضييق النطاق الدلالي لبعض الكلمات، مثل " أخيك " و" رجل "، التي تشير إلى البشر ككل بحيث أصبحت تشير إلى اليهود وحسب وتستبعد الآخرين، فإن كان هناك نهيٌّ عن سرقة " أخيك " فإن معنى ذلك يكون في الواقع " أخيك اليهودي".)[1] [سفر اللاويين 25: 39- 47]**.**وهناك نصوص أخرى في مجالات شتى فيها هذا التمييز الإثني أو العنصري.[2] منها:

أكل الربا، فهو محرم في اليهودية لما فيه من مفاسد اجتماعية واقتصادية وإنسانية، إلا أن النصوص خصصت تحريمه على اليهودي مع أخيه اليهودي فقط، دون الآخر غير اليهودي. وهذا تناقض فاضح، فالضرر الذي يقع على اليهودي يقع بالضرورة على غيره، فكيف يُحرَّم التعامل به مع هذا ويُباح مع الآخر، لولا الشعور بتقديس الذات والاستعلاء على الآخر، وأنه دون اليهودي قدرا ومنزلة كما تقتضيه عُقَد الألتروفوبيا.؟ !! [سفر التثنية 23: 19 – 20]، والدلالة واضحة في قوله " **لِلأَجْنَبِيِّ تُقْرِضُ بِرِبًا،**

1- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، ج5، ص364

2- لمزيد من التوسع والتفصيل أنظر حنا حنا: **هفوات التوراة**، دار النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق ، 2008 . وانظر أيضا : ليوتا كسيل: **التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير**، ترجمة حسان ميخائيل اسحاق، دار الكوثر، دمشق، 2006

وَلكِنْ لأَخِيكَ لاَ تُقْرِضْ بِرِبًا " . ونفس الأمر يطبق على شهادة الزور مثلا، إذ جاء في سفر الخروج 20: 16:" **لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ**." أي مع غير قريبك يُرفع هذا التحريم ويصبح جائزا .

وكذلك بالنسبة للسرقة فبالنظر إلى الوصايا العشر نجد أن السرقة محرمة قطعا بقوله:" **لا تسرق**." [سفر الخروج 20: 15] ولكن الناظر لنصوص العهد القديم يجد عكس هذا التحريم، بل يجد الأمر بالسرقة والكذب والغدر[1]. وهذا تناقض صارخ، إذ تروي النصوص أنه قبل خروج بني إسرائيل من مصر، استعاروا بأمر الربّ، أمتعة وذهبا وفضة من المصريين وهربوا بها عند الخروج في أكبر سرقة عالمية [سفر الخروج 11: 2- 3 ، سفر الخروج 12: 35- 37]. (ومن هذه الوصايا الرذيلة، إباحة الغدر حين التعامل مع الآخرين، فتبيح التوراة المحرفة لبني إسرائيل أن يستتروا بالخداع والخيانة، لينالوا من خصومهم " **يجوز لكم أن تتظاهروا بصفاء النية وحسن الجوار، ويجوز لكم أيضا أن تدينوا بدينهم، وتقرون إليهم، وتضربون الأوتاد في أصداغهم، حتى تنفذَ إلى الأرض.**")[2] ، هذه النصوص وغيرها هي التي ترسم الشخصية اليهودية وتطبعها بأخلاق العنصرية وكره الآخر (الألتيرفوبيا Alterophobie)، والتمركز نحو الذات (égocentrisme)، وجنون العظمة (Mégalomanie).

2- الحوار و الآخر في التلمود

الدارس لنصوص التلمود يبقى مندهشا ومصدوما لوقع ما يقرأ ويسمع، ويجد نصوصه أخطر من التي في الكتاب المقدس، بل الناظر إلى واقع اليهود يرى بوضوح مدى تأثرهم بهذه التعاليم [3]، وتشكيلها للنفسية والعقلية اليهودية، والتي تُرجمت إلى سلوك واقعي مليء بالعقد والتناقض، والنصوص التالية تبين ذلك.

1- أنظر التربية في التوراة ،مرجع سابق ص 127

2- التربية في التوراة ،مرجع سابق ص 127

3- عادين شتينزلتس: **معجم المصطلحات التلمودية**، ترجمة د. مصطفى عبد المعبود سيد، سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية ،يصدرها مركز الدراسات الشرقية – جامعة القاهرة، العدد 19، 1426هـ- 2006، ص 6

اليهودي جزء من الله : لقد غالى فقهاء التلمود في نظرتهم للذات على المستوى الديني و السياسي و الاجتماعي، ووضعوا أنفسهم في مكانة تفوق غير اليهود[1]، إذ يعتبر التلمود اليهودي أفضل من الملائكة، لدرجة أن سيطرة الحاخامات على اليهود جعلتهم يعتقدون أن اليهودي جزء من الله، كما أن الابن جزء من أبيه.[2] ، هذا الاعتقاد جعل اليهودي ينظر إلى الآخر نظرة احتقار ودونية، وينظر لنفسه نظرة اختيار ورفعة [3]، ومن نافلة القول أن دينا يرسخ هذه المفاهيم العنصرية في قلوب أتباعه، وعقول معتنقيه، مضيفا إليها هالة من القداسة والتعظيم، هو إيذان بِشَرٍّ مستطير يهدد بالقضاء على إنسانية الإنسان، ويعمل على تمزيق الأمم وتفتيت أواصر الشعوب، مما يشعل الحروب ويصنع الكوارث ويهدم القيم والمبادئ و الأخلاق السامية لتي تحترم الإنسان وتسوي بين الناس وتحكم بينهم بالعدل والقسط.[4] وقد ذكى التلمود هذه المعاني وغيرها، إذ ورد قول الرابي حنينا أنه:" إذا ضرب أمي إسرائيليا فالأمي[5]يستحق الموت." ويقول أيضا :" من ضرب إسرائيليا على فكّه كأنه ضرب الحضرة الإلهية."[6]

بل ويذهب التلمود إلى درجة التأكيد أن وجود البركة في الأرض مقرونا بخَلْقِ اليهودي، إذ ورد في الكتاب السابق منه أنه:" إذا لم يخلق

1- شيماء مجدي حسن: **الآخر في التلمود: ترجمة باب العبادات الأجنبية في التلمود "عفودا زارا"**، دار العلوم للنشرو التوزيع، القاهرة 1428هـ- 2007، ص 43-44

2- علق الله في القرآن على هذا الاعتقاد بقوله تعالى: " وَقَالَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ. " [المائدة: 18]

3- القمص روفائيل البرموسي :**الحياة اليهودية بحسب التلمود**، دار نوبار للطباعة،الطبعة الأولى 2003، ص 37

4 - لمزيد من التفاصيل انظر يحيى علي يحيى الدجني: **تحدي الحركة الصهيونية للقوى العربية والإسلامية**، دار النمير للنشر والطباعة والتوزيع، دمشق، ص44 وما بعدها

5- الأميّ أو الأممي تعبير أورده القرآن على لسان اليهود في وصف تعاملهم مع الآخر، قال تعالى: "(...) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ." [آل عمران:75]

6- علي خليل:**اليهودية بين النظرية والتطبيق**،من منشورات اتحاد الكتاب العرب ،القاهرة 1997،ص 40. وانظر أيضا الشرقاوي عبد الله، الكنز المرصود: ص200

اليهود، لانعدمت البركة من الأرض، ولما خُلقت الأمطار والشمس، ولما أمكن باقي المخلوقات أن تعيش.!!"[1]

كرّس التلمود مفهوم اعتبار اليهودي أكثر إنسانية من غيره، فالفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق الموجود بين اليهود وباقي الشعوب. فاليهودي إنسان أما باقي الناس فهم حيوانات في صورة إنسان.ورد في " يباموت 98 أ":" أبناء الأمميين(الجوييم) جميعا بهائم."[2] يقول كيريثوت ص 72 ب6 " تعاليم الربّانيين هي: من يصب زيتا فوق غوي، وفوق أجساد ميتة، يُعفى من العقاب، هذا شرعي بالنسبة للحيوان، لأنه ليس بشرا، لكن كيف يمكن القول أن من صب الزيت على غوي يُعفى من العقاب، مع أن الغوي هو أيضا من البشر؟ إن ذلك ليس صحيحا ولا شرعيا، حسب ما هو مكتوب: أنتم قطيعي، وقطيع مرعايّ هم بشرا، أنتم إذن تُدعَون بشرا، لكن الغويم ليسوا كذلك."[3] وفي كراس ماكوث ب7: "يقال أنه مذنب ذلك الذي يقتل إلا في حالة أنه قصد قتل حيوان، فقتل إنسانا بالخطأ، أوأنه قصد قتل غوي فقتل إسرائيليا." [4] نلاحظ هذا الجمع بين الحيوان والغوي، فوجه الخطأ في القتل، أنه من أراد قتل أحدهما (أي الحيوان أو الغوي) وهو مباح، فقتل إسرائيليا عن غير قصد، ذاك هو القتل الخطأ.وكأن الحيوان والغوي في كفة، والإسرائيلي في كفة أخرى !!!

ويقول ميدراس تالبيوث: " خلقهم الله في أشكال آدمية لتمجيد إسرائيل، إلا أن الآكوم (أو العكوم) خلقوا لغاية وحيدة هي لخدمتهم (أي بني إسرائيل) ليل نهار. وهم لا يستطيعون التخلص من هذه الخدمة. ومن اللائق أن يقوم على خدمة ابن ملك (إسرائيلي) حيوانات بأشكال طبيعية، فالحيوانات الكائنة بأشكال إنسانية عليها أن تخدمه."[5]

1- المرجع السابق

2- أحمد أيبش:**التلمود كتاب اليهود المقدس**، دار قتيبة،سوريا،2006،ص 395

3- الشرقاوي عبد الله، الكنز المرصود: ص 206

4- المرجع السابق

5- المرجع السابق: ص 200- 202. وانظر أيضا **التلمود،أصله وتسلسله وآدابه**، ترجمة ترجمة عن العبرية،د.شمعون مويال، إعداد وتقديم د. رشاد عبد الله الشامي ود.ليلى أبو المجد، الدار الثقافية للنشر،القاهرة ،1425هـ - 2004

(وجاء في تلمود أورشليم : " أن النطفة المخلوق منها باقي الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هي نطفة حصان ![1] (...) وجاء في التلمود أن اليهودي ينجس إذا لمس القبور، طبقا لما جاء في التوراة، ما خلا قبور من عداهم من الأمم، لأنهم يعدونهم بهائم لا أبناء آدم. !! "بياموت البند 6 "، (...) و ذكر في كتب أخرى:" أن الكلب أفضل من الأجانب، لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس مصرح له أيضا أن يعطيهم لحما بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منهم !!"، والأمم الخارجة عن دين اليهود ليست فقط كلابا بل حميرا أيضا. قال الحاخام" أباربانيل ": " الشعب المختار فقط يستحق الحياة الأبدية، وأما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير" !!!، ولا قرابة بين الأمم الخارجة عن دين اليهود، لأنهم أشبه بالحمير. ويعتبر اليهود بيوت عبادة باقي الأمم نظير زرائب للحيوانات[2]!!، ولما قدم بختنصر ابنته إلى ابن " سيرا " قال له هذا الأخير:" إني من بني آدم ولست من الحيوانات.")[3] وقال الرابي " مناحم ": أيها اليهود، إنكم من بني البشر، لأن أرواحكم مصدرها روح الله، وأما باقي الأمم فليست كذلك، لأن أرواحهم مصدرها الروح النجسة." وكان هذا رأي الحاخام " أريل " أيضا لأنه كان يعتبر الخارجين عن الدين اليهودي خنازير نجسة تسكن الغابات، (...) فالخارج عن دين اليهود حيوان على العموم، فسمه: كلبا، أو حمارا أو خنزيرا.!! والنطفة التي هو منها هي نطفة حيوان.[4]

أمام هذه النصوص يبقى الإنسان السويّ مندهشا وهو يطرح هذا السؤال: ما نوعية النفسية والشخصية التي تصنعها هذه النصوص ؟ وكيف نتعامل معها ؟. ويبقى الجواب مفتوحا على كل الاحتمالات يمتد في التاريخ من "بختنصر" إلى أدولف هتلر. ولقد أجابنا التاريخ عن بعض ما عناه

---

1 - مرسي الأسيوطي:**الغرب والإسلام ،دراسة في الأصول العقائدية والثوابت الثقافية لرؤية الآخر، عولمة أم صراع،** مكتبة النهضة المصرية، القاهرة- 2003،ص54- 65

2 - لذا تشير كثيرا من التقارير الإعلامية الواردة من الأراضي المحتلة، أن عددا هائلا من المساجد ودور العبادة حولها الصهاينة إلى إصطبلات أو مراقص...

3- المرجع السابق: ص 75

4- الشرقاوي عبد الله، الكنز المرصود: ص 75 .وانظر أيضا أحمد أيبش:**التلمود كتاب اليهود المقدس،** مرجع سابق، ص 395-396

التلمود من منع وتحريق في أوروبا وغيرها بسبب ما تبناه من انتقاص للإنسان عامة ولشخص المسيح عليه السلام خاصة، وأمه العذراء.[1]

عدم الشفقة على الآخر:يعتبر التلمود غير اليهودي عدوا لله وعدوهم، وهذا ما ينفي عنه صفة الآدمية، وبالتالي لا يصح استعمال الرأفة والشفقة وكل معاني الرحمة معه، بل أن كل غضب الله موجه إليه. (وذكر في التلمود " سنهدرين1 ر92 ":" غير جائز أن تشفقوا على ذي جنة**."** وقال الرابي" جرسون": "ليس من الموافق أن تأخذ الشفقة الرجل الصالح على الرجل الشرير**."** وقال الحاخام " أباربانيل ": ليس من العدل أن يشفق الإنسان على أعدائه ويرحمهم.") [2]

جواز الغش والنفاق وسرقة الآخر:جوّز التلمود لبني إسرائيل التعامل مع الآخر غير اليهودي بالغش والاحتيال، بل وبكل سيء الأخلاق، لا لشيء إلا لأنهم كفار لا ذمة لهم، جاء مكتوبا في التلمود: **"**إذا عثر يهودي على متاع ضائع يخص وثنيا فلا يتوجب عليه رده **."**(بابا ماتسيا 24 أ)،وورد في(بابا قاما 37ب) أيضا:" الأمميون يقعون خارج نطاق حماية الشريعة، ومالهم يتيحه الله حلالا لبني إسرائيل " وفيه أيضا ورد تصريحا لا تلميحا:" يجوز لليهودي أن يلجأ إلى الأكاذيب(الحيل) لكي يراوغ أمميا "(بابا قاما 113 أ)[3].

كم تغرس هذه النصوص التلمودية – وغيرها - في عقلية اليهودي ونفسيته مرض " عدم ثبات الأخلاق، و ازدواجية المعايير " في التعامل مع الآخر، فيتعامل اليهودي مع " أخيه اليهودي" بغير ما يتعامل به مع غيره. فتبيح له التعامل بالغش والخداع و أكل الربّا الفاحش دونما حرج.بل تعمل أحكام التلمود على تعليم اليهودي التعامل بالقواعد الميكيافيلية- (الغاية تبرر الوسيلة)- فالغاية أن يربح اليهودي فقط حتى ولو داس على كل القيّم

---

1 - أدين شتاينسالتز: **مدخل إلى التلمود**، ترجمة د.فينيتا الشيخ، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع ،سوريا،2006، ص 111-117 وانظر أيضا **التلمود،أصله وتسلسله وآدابه**، مرجع سابق،ص 8. وكذا شيماء مجدي حسن: **الآخر في التلمود**، ص 19-23

2- نصر الله يوسف، الكنز المرصود في قواعد التلمود: ص 76، وانظر أيضا أحمد أيبش:**التلمود كتاب اليهود المقدس**، مرجع سابق، ص 395-396

3- أحمد أيبش:**التلمود كتاب اليهود المقدس**، مرجع سابق، ص 395.

الإنسانية وعلى رأسها العدل، مادام أن الأمر يتعلق بالآخر الأممي الذي لا حرمة له، إذ جاء في التلمود: " إذا جاء أجنبي و إسرائيلي أمامك بدعوى، فإذا أمكنك أن تجعل الإسرائيلي رابحا فافعل، وقل للأجنبي: هكذا تقضي شريعتنا - إذا حصل ذلك في مدينة يحكم فيها اليهود-. وإذا أمكنك ذلك وفقا لشريعة الأجنبي فاجعل الإسرائيلي رابحا، وقل للأجنبي: هكذا تقضي شريعتك. فإذا لم تتمكن من كلا الحالين، - بأن كان اليهود لا يحكمون البلد، والشريعة الأجنبية لا تعطي الحق لليهودي- فاستعمل الغش والخداع في حق هذا الأجنبي حتى تجعل الحق لليهودي." [1]

قتل غير اليهودي مباح: بعد قطع هذه الأشواط من النصوص والتعاليم التلمودية، المعرِّفة والمشكِّلة لصورة الآخر وقيمته في الاعتقاد اليهودي، ندرك جيدا أن مسار حركة هذه النصوص سيؤول حتما إلى تنامي ثقافة الحقد تُجاه الآخر، والوصول بها إلى إباحة إهدار دمه دون أدنى حرج ولا كبير عناء. فهذا الرفض للآخر(قد تحوَّل إلى عدوانية واضحة في التلمود الذي يدعو دعوة صريحة - في بعض أجزائه المتناقضة - إلى قتل الغريب، حتى ولو كان من أحسن الناس خلقاً. وقد سببت هذه العدوانية اللاعقلية كثيراً من الحرج لليهود أنفسهم الأمر الذي دعاهم إلى إصدار طبعات من التلمود بعد إحلال كلمة "مصري" أو "صدوقي" أو "سامري" محل كلمة "مسيحي" أو "غريب".)[2]

ومن النصوص التلمودية التي تدعو إلى قتل الآخر:"عندما يقتل اليهودي كوثيا لا تتوجب عليه عقوبات الموت"[3] .

وجاء في صحيفة أخرى منه: " إذا وقع أحد من الوثنيين في حفرة يلزمك أن تسدها بحجر."[1].

1- عبد الحليم الجبيصى:دماء على صفحات التوراة والتلمود،دار التوفيقية للطباعة، القاهرة،ص 139.وانظر أيضا رقية العلواني وآخرون: **مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية**، دار الفكر، دمشق 2008، ص65 وما بعدها

2- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، ج5 ، ص364

3- أيبش:**التلمود كتاب اليهود المقدس**، مرجع سابق، ص 395.وانظر نصر الله يوسف، الكنز المرصود في قواعد التلمود: ص 90

الناظر لمحتوى هذه النصوص وغيرها، يجدها صريحة الدلالة وبكل وضوح، من أن قتل غير اليهودي لا يُعدّ جريمة البتة في التشريع اليهودي، بل إن فعل ذلك يُعدُ مما يرضي الربّ بالمفهوم التلمودي...!

إن شريعة تدعو إلى إبادة " الآخر" لا لشيء إلا لأنه يخالفها المعتقد، يجعل الأمر أكثر صعوبة وخطورة من الناحية الواقعية والتطبيقية، ولعل هذا ما يفسر كثيرا من الممارسات القمعية والوحشية التي يسلطها الاحتلال الصهيوني على الفلسطينيين، ومنعه للطواقم الطبية وسيارات الإسعاف الفلسطينية من الوصول إلى الجرحى الفلسطينيين - أطفالا كانوا أو نساء ناهيك عن المقاتلين-، وتركهم ينزفون حتى الموت...

أما الطواقم الطبية وسيارات الإسعاف اليهودية فهي ممنوعة من ذلك منعا باتا بصريح القانون، وكدليل ومثال نموذجي موثّق على أطرف تطبيقات هذا المفهوم في الوقت الحاضر،(القرار الذي أصدره مؤتمر الدراسات التلمودية الثامن عشر الذي عُقد في القدس عام 1974 وحضره رئيس الوزراء "إسحق رابين"، والذي جاء فيه ضرورة "منع قيام الطبيب اليهودي بمساعدة المرأة غير اليهودية على الحمل". ومن المعروف أن الشرع اليهودي قد تناول بشيء من التفصيل قضية: هل يجوز للطبيب اليهودي أن يعالج غير اليهودي؟ وقد كان الرد هو النفي في جميع الأحوال، إلا إذا اضطر اليهودي إلى ذلك. وينبغي أن تكون نية الطبيب دائماً هي أن يحمي الشعب اليهودي ونفسه، لا أن يشفي المريض. وقد أجاز بعض الفقهاء اليهود مثل "جوزيف كارو" في كتابيه: " بيت يوسف والشولحان عاروخ**":** أن يجرب الأطباء اليهود الدواء على مريض غير يهودي، وهي فتوى كررها "موسى إيسيرليز" في تعليقه على الشولحان عاروخ. وقد وردت كل الحقائق السابقة في مقال كتبه "إسرائيل شاهاك"، ولم ترد نقابة الأطباء الإسرائيلية على اتهاماته.)[2]

هذه التربية الصِّهيونية التي أنتجت "إسحاق رابين" و قاتله "إيجال عامير" ،والذي لم يكن عربيدا ولا مجنونا ، فهو ابن حاخام ، وطالب ممتاز

1- نصر الله يوسف، الكنز المرصود في قواعد التلمود: ص 90

2- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، ج5 ، ص366.

في الجامعة الإكليركية "بأرعيلان" بالقرب من " تل أبيب"، وتشبع بتعاليم المدارس التلمودية، وجندي من جنود الصفوة في الجولان، ويحتفظ في مكتبته بسيرة "باروخ جولدشتين" الذي اغتال في الخليل 27 من العرب وهم يصلون! وهو المتأثر بجماعة "إيال" (محاربو إسرائيل)، التي بث التليفزيون الرسمي الإسرائيلي العرض الكبير الخاص بهم ، وهم يحلفون على قبر مؤسس الصهيونية السياسية: "تيودور هرتزل": بأن "يعدموا أي شخص يفرط للعرب في أرض الميعاد في يهودا وسامرا"، (الضفة الغربية) حاليًّا. علما أن هذا الاغتيال ، والاغتيالات التي اقترفها جولدشتين يندرج ضمن المنطق الضيق لمثيولوجية المتطرفين الصهيونيين، وكما يقول عامير: "إن الأمر بالقتل جاءه من الرب كما كان يحدث في عهد يشوع" [1].

هذا الذي حَدَث ويحدث من "صبرا و شاتيلا "، إلى "تل الزعتر" و"دير ياسين "، ومن "جنين" إلى "غزة"، والدارس لتاريخ اليهودي يجده مسلسلا طويلا للرعب، ترك بصماته في كل شبر من أرض فلسطين [2]، جراء تراكمات عقد الشخصية اليهودية، التي صاغتها نصوص التوراة والتلمود وشكلتها بأخلاق العنصرية، وكره الآخر الألتيرفوبيا (Alterophobie)، وغيرها من العقد التي تراكمت عبر العصور، حتى أضحت ظلمات بعضها فوق بعض، جاء في مناحوت 43 ب-44أ:"يتعين على اليهودي أن يتلو الصلاة التالية كل يوم:لك الحمد يا ربّ أن لم تخلقني أمميا أو امرأة أو عبدا"، قوم هذا ديدنهم فكيف يحسن غيرهم الظن فيهم فيأمنوهم، أم كيف يحسنون هم الظن بغيرهم فيعاشروهم معاشرة إنسانية مفعمة بالودّ والحوار وبلا عُقد.؟

---

1 - جريدة "لوموند" (Le Monde)، 8 نوفمبر 1995.

2 - لمزيد من التفصيل ندعو الدارسين لبحث تاريخ هذه القرى والمدن وما حدث فيها من قتل والإجرام، منها: قرية الشيخ، منصورة الخيط، قيسارية، وادي عارة، قرية آبو كبير، خربة ناصر الدين، حواسة، الوعرة ، السوداء،حيفا،الحسينية، بلد الشيخ، عين الزيتون، بيت دراس، خبيزة، أبو شوشة، الكابري، الطنطورة، قزازة، اللد، الطيرة ، اجزم، بئر السبع، اسدود، الدوايمة، جش، ،مجد الكروم، صفصاف، سعسع، صالحة، عرب السمنية، قرية عيلبون، ،دير الأسد، الخصاص، القوبيه، قرية قلقليا، كفر قاسم، خان يونس، خان يونس، مخيم صبرا وشاتيلا، عين قارا، المسجد الأقصى، المسجد الإبراهيمي، جنين، غزة